# أثر السّياق في بيان المَعْنِيّ بالآيـة أو الآيات: نماذج تطبيقيّة في تفسير البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسيّ(ت745هـ)

**طالب دكتوراه: دو ميلود***
[1]جامعة وهران1 أحمد بن بلة ( الجزائر)، miloudou77@gmail.com
مخبر الدلالة في المستويات اللسانية في التراث الأدبي الجزائري(slpla)
**إشراف الأستاذة الدكتورة: مطهـري صفية**
[2]جامعة وهران1 أحمد بن بلة ( الجزائر)، Smetahri@gmail.com
مخبر الدلالة في المستويات اللسانية في التراث الأدبي الجزائري(slpla)

**الإرسال**: 2026/06/20 **القبول**:2026/09/06 **النشر**: 2026/09/15.

**الملخص**: يحظى السّياق بمركزيّة أساسيّة وثابتة في حقل تفسير القرآن ، وتمتدّ أيادي نفعه إلى عديد المواضيع والمباحث ومختلفها ؛ وقد صمد هذا المقال للكشف عن دور السّياق في جزئيّة دلالية هامّة ، هي بيان المَعْنِيّ بالآية أو الآيات(متكلّما كان أم مخاطَبا أم موصوفا) ، متّخذا تفسير البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسيّ(ت745هـ) ميدانا للتّطبيق ؛ قاصرا التّمثيلَ على نماذج مختارة منه ، متّبعا في ذلك المنهج الوصفيّ التحليليّ. وتجلّى من طوايا البحث شدّة ارتكاز أبي حيّان على السّياق في معالجته للتفسير ، وحسن استثماره له.

**الكلمات المفاتيح:** السياق ؛ المتكلم ؛ المخاطب ، الموصوف ؛ تفسير البحر المحيط ؛ أبو حيان الأندلسيّ.

# The effect of context in clarifying the intended person of the verse or verses: Applied examples in the interpretation of the book Al-Bahr Al-Muhit by Abu Hayyan Al-Andalusi (died in 745 AH)

* المؤلف المرسل.

**Abstract**: Context holds a central and enduring position in the field of Qur'anic exegesis, and its benefits extend to numerous and diverse topics and studies. This article has focused on revealing the role of context in a crucial semantic aspect: clarifying the meaning of a verse or verses (whether speaker, addressee, or described). It uses Abu Hayyan al-Andalusi's (d. 745 AH) *Al-Bahr al-Muhit* as a case study, limiting its application to selected examples and employing a descriptive-analytical methodology. The research demonstrates Abu Hayyan's strong reliance on context in his exegesis and his skillful use of it.

**Key words:** the context ;speaker ;addressee ;Described ; Al-Bahr Al-Muheet ; Abu-Hayyan Al-andalusi .

**1- مقدمة:**

من المعلوم أنّ مبدأ مراعاة السّياق في تفسير البيان العليّ المعجز شرط أساس في فهم الخطاب القرآنيّ ، وأداة فعيلة لا محيص عنها في إنتاج المعنى ، ولا تقف جدواه الوظيفيّة عند هذا ، بل تتعدّاه إلى وظيفة أخرى جليلة ؛ تختصّ بترجيح معنى معيّن على ما سواه ، وتقوية دلالة مخصوصة على حساب دلالات مرجوحة ، ورفع الاحتمالات بتأكيد احتمال واحد قويٍّ لقوّة مرتكزه السّياقيّ ؛ وكل ذلك صيانة لحمى المعنى القرآنيّ من الإسقاط الدلاليّ على النصّ العليّ المقدّس ، سواء ما كان في الأزمة الغابرة ، أو ما استشرى في الأزمنة المتأخرة ؛ شأن الكثير من القراءات المعاصرة ونظريّاتها المتعدّدة التي صارت مطارقَ هدمٍ ، وأعاصير فتنة ، فقالوا ما هو تقوُّل وافتراء وهراء ، وكلام الله منه بَراء.

فلا غَرْوَ أن اجتذب هذا الموضوع عنايةَ المفسّرين ، وألقى بَعَاعه بِعَقْوَتهم ؛ فسحبوا نحوه أقلامهم ، وشحذوا له أفهامهم ؛ فرعوه حقّ الرعاية ، وأنزلوه المنزلة العالية في التفسير ابتداء بإمام المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبريّ(ت310هـ)-رحمه الله- الذي ضرب فيه بسهم وافر تأصيلا وتطبيقا ، وانتهاء بالتفاسير المتأخّرة والحديثة ، ومرجع ذلك هو اعتبارهم السياق أصلا من أصول التفسير المعتبرة.

ولمّا كان للسياق موقع نفعٍ عظيم ، كان التقدّم في درسه واجبا ؛ لذا اخترته موضوعا لهذا المقال ، ولمَّا كان لتفسير سيبويه الأندلس أبي حيّان الجيّانيّ(ت745هـ) من المكانة السامقة

عند أهل العلم ما هو مُتَعالَم مشهور ، مضافا إليه حفوليّته بالسياق في غير ما جانب ، كجانب تناسب الآيات وتعالقها بعضها ببعض ، وجانب تبيان أسرار التعبير ، وجانب الترجيح بين الأقوال"[1]" ؛ فأبو حيان قد وعى ما يكتنزه السياق من فوائد ،وما يضيفه إلى الباحث والمبحوث فيه من ثمار نضيجة ؛ فتسلّح به واستضاء بساطع ضوئه تفسيرا وتفهيما ، وترجيحا وتسقيما ؛ كل أولئك حداني إلى الامتياح من هذه المدوّنة الفخمة الضخمة ، مستخرجا منها نماذج ، شفعتها بالتحليل ، وحصرتها في بابة واحد ، هي تجلية أثر السياق في بيان المعنيّ بالآية أو الآيات ، سواء كان متكلّما أم مخاطبا أم موصوفا.

وعلى وجه التمهيد لهذا الجانب التطبيقيّ ، استهللت الدراسة بتعريف السياق ، وذكر أنواعه.

**2. تعريف السياق:**

**1.2.لغة:** هو مصدر مَصوغ من الفعل الثلاثيّ الأجوف(سوق) الذي أُعِلَّت عينُه بالواو ؛ فأصله" سِواقٌ " ، وقعت الواو حشوًا بين كسرة وألف ؛فقُلِبت الواو ياء لكسرة السين"[2]" ، على مقتضى قانون الإعلال بالقلب.

كما له مصادر أخرى"[3]" ، هي:"سَياق" بفتح السين ، و"سَوْق" ، و"سِياقة" ، ومصدر ميميّ ، هو "مَساق""[4]".

واستعمالات هذه اللفظة تدور حول معنى محوريّ مشتهر بين الباحثين ، هو الانتظام والتناسق ، والتسلسل والتتابع ، والجمع والاتصال ، ويزيد بعضهم ملمحا آخر ، هو الموازاة أو التقارن"[5]". وهذان المعنيان المحوريّان(التتابع أو التوالي ، والموازاة أو المقارنة) يمثلان الركيزة الأساسيّة التي يقوم عليها المفهوم الاصطلاحيّ للسياق ، إذ لا يتحقّق السياق في أيّ خطاب لغويّ إلاّ بأن تتوافر فيه مجموعة من العناصر التي يتمثل بعضها في (تتابع) وحداته اللغويّة وانتظامها في نسق واحد(سياق المقال)، وبعضها الآخر في المحيط الخارجيّ(المقارِن) لهذا الخطاب أو الملابس لنشأته(سياق الموقف أو المقام)"[6]".

**2.2.اصطلاحا:**

نشير هنا –ابتداء- إلى ملحظين نلفيهما في هذه الجزئيّة:

الأول-عدم وجود تعريف اصطلاحيّ قديم للسياق ؛ رغم أنّ استخدام مصطلح "السياق" مرتبطا بالكلام وبيان معناه جاء باكرا في التراث العربيّ على يد الإمام الشافعيّ(ت204هـ) ، وذلك في رسالته التي تضمّنت بابا سمّي "باب الصّنف الذي يبيّن سياقه معناه"[7] ، إلاّ أنه لم يشفعه بتعريف اصطلاحيّ ، ونفس الشيء جرى مع العلماء المتقدّمين-على اختلاف

تخصّصاتهم وتنوّعها- من عدم التنصيص على تعريف ضابط ، ولا حصره في أنواع محدّدة ، غاية ما نصّوا عليه هو بيان أهمّيته وبعض آثاره ، كالترجيح وغيره"[8]". وعدم وضع تسمية للمصطلحات مشكلة يعاني منها علم الدلالة العربيّ والعلوم العربيّة الأخرى"[9]".

الثاني- استعصاء الرسوّ على تعريف اصطلاحيّ محدّد مجمع عليه للسياق ، فقد تعدّدت تعاريفه الاصطلاحيّة ، وهي تعاريف متقاربة إلا أنها تمتح من ميادين مختلفة ؛ ذاك أنّ كل معرّفٍ نَظَر إلى فنٍّ معين وعرَّفه من خلاله"[10]" ، فلا غرابة ، حينئذ ، أن نجد بعض الباحثين في هذا الموضوع يولّون وجوههم إلى النظر في جوانب أخرى لها علاقة بالسياق ،"كالتعرّف على خصائصه وفهم عناصره ، وبيان دوره في تحديد المعنى"[11] .

ولكن هذا لا يعفينا من مقاربة هذه الجزئيّة قدر الوسع ، مستضيئين بالدراسات السابقة. وقد انتهيت إلى وضع تعريف للسياق مبنيّ على ما اقتنصته من تعريفات سابقة لطائفة من الباحثين ؛ فعرفته بأنه:"كلّ ما يكتنف الوحدة اللغويّة المراد فهمها من دوالّ لفظيّة أو حاليّة ذات دلالة في الموضوع".

وينقسم السياق إلى سياق مقاليّ(لغويّ)، وسياق مقاميّ أو سياق الحال(غير لغويّ)، وكلاهما يتضافران في خدمة العمليّة الاستنباطيّة للمعنى من النص القرآنيّ ، وإن كان السياق المقاليّ هو محطّ الاهتمام بالدّرجة الأكبر.

أما الأول فيعنى به الدراسة النصية من خلال ما تكشفه علاقات ألفاظه بعضها ببعض ،والأدوات الموظفة للربط بين تلك الألفاظ ، وما تفضي إليه تلك العلائق من معانٍ جزئية وكلية"[12]".

وأما الثاني فيراد به ما يحتفّ بالنصّ من مجموع العناصر الاجتماعية والثقافية التي لها صدى في فهمه"[13]".

أما عن فوائد السياق في الدرس التفسيريّ ، فقد نصّ العلماء والباحثون عليها ، وهي"[1]":

1- ترجيح وتضعيف بعض القراءات.

2- توجيه القراءات.

3- نقد بعض الروايات المرفوعة.

4-نقد بعض الإسرائيليّات.

[1]-يراجع: السياق القرآنيّ وأثره في التفسير، عبد الرحمن المطيري، ص100-101.

5- بيان المعنى.
6- بيان المراد من المشترك اللفظيّ.
7- تضمين المعاني.
8- تحديد المراد من حروف المعاني.
9- تحديد مرجع الضمير.
10- بيان الحذف وتقديره.
11- ترجيح وتضعيف بعض الأقوال بالتقديم والتأخير.
12- ترجيح وتضعيف بعض أسباب النزول.
13- إظهار المناسبة بين آيات القرآن الكريم.
14- توجيه المتشابه اللفظيّ.
15- دفع إيهام الإشكال في القرآن الكريم.
16- ترجيح وتضعيف بعض الأقوال في النسخ.
17- معرفة المكيّ والمدنيّ.
18- بيان المواضع المناسبة للوقف والابتداء.
19- الترجيح والتضعيف للأقوال في التفسير.
20-بيان المتكلم أو المخاطب أو الموصوف في الآيات.

**3. -الدراسة التطبيقيّة**

للسياق بالغ الأثر في تحديد المتكلم أو المخاطب في الآيات القرآنية ، أو الموصوف فيها ؛ وأبو حيان-رحمه الله -اشتغل كثيرا على السياق ، واستحضره في مواطن غير يسيرة في تفسيره ، وكان منها هذا الجانب ؛ جانب بيان المعنيّ بالآية أو الأيات. وفيما يأتي نماذج لذلك:

**النموذج الأول**-قال تعالى ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2)** ﴾[الفاتحة:2]

رجّح أبو حيان أن المراد بالعالمين هنا هم:المكلَّفون ، حيث قال:"الذي أَختاره أَنَّهُ يَنْطَلِق عَلَى الْمُكَلَّفِينَ لِقوله تعالى:﴿**إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالَمِينَ**﴾[الروم:22] ،وَقِرَاءَةُ حَفْصٍ(للعالِمين) بِكَسْرِ اللَّامِ تُوَضِّحُ ذَلِكَ"[14].

وهذا الترجيح مبنيّ على توظيف السياق الأكبر في آية سورة الروم ؛لورود لفظة(العالمين) بقراءتين لهما نفس المعنى ؛ حيث تطلق على المكلَّفين باعتبارهم عقلاء قادرين على التعلم ؛ فحمل أبو حيان عليها لفظة(العالمين) في سورة الفاتحة ، ولم يحملها على العموم لكل ما

سوى الله تعالى ، وهو بهذا الصنيع يخالف منهجه الصريح الذي ركن إليه في تفسيره من وجوب حمل نصوص الوحي على العموم ، وهي مخالفة قليلة على كل حال"[15]".

**النموذج الثاني**-قال تعالى:﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26)**﴾[البقرة:26]

ذكر أبو حيان في تحديد الموصوف بـ(الذي كفروا) ثلاثة أقوال تبعا لأسباب النزول ، أنهم"[16]":

أ-اليهود.

ب-المشركون.

ج-المنافقون.

وقد اقتنص المؤلف من السياق بأنواعه رحابتَه لقبول الاحتمالات الثلاث ، فقال كاشفا عن ذلك:"وَالْكلُّ محتمل ؛ إذ اشتملَت على نقض العهد ، وهو من صفة الْيهود ، لِأَنَّ الخطاب بوفاء العهد إنَّما هو لبني إسرائيل ، وَعلى الكافرين والذين في قلوبهم مرض ، وهم المشركون والمنافقون ، وكلُهم كانوا فِي إيذائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسلّم مُتوافقين ،وقد نَصَّ منْ أوّل السّورة إلى هنا ذكر ثلاث طوائف ، وَكلّهم من الَّذين كفروا ، قاله الْقَفَّالُ"[17].

أمَّا اليهود ، فاستمد دلالته عليهم بما جاء في آخر الآية من صفتهم ، لأنه قِيلَ فيها:﴿ **وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ** ﴾ ، وهذا صفة اليهود ؛ لأنّ الخطاب بالوفاء وبالعهد فِيمَا يستقبل من الآيات إنَّما هو لبني إسرائيل ، وجاء ذلك في قوله تعالى:﴿ يَا **بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴾[البقرة:40] ؛ وهذا منه استدلال بسياق الآية-متمثلا في اللحاق- الذي يتشابك مع سياق آيات أخرى في نفس السورة ، رغم بعدها عنها ، وعدم اكتفائه بالتفسير المَوْضِعيّ للآية.

وأما المشركون والمنافقون ، فقد جمعتهم سورة المدّثّر في قوله تعالى:﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلًا كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾[المدثر:31] ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قلوبهم مرض فهم المنافقون ، والّذينَ كفروا يحتمل الْمشركين لأَنّ السّورة مكّيّة ؛ فَقَدْ جُمِعَ الفريقان ها هنا. وهذا استدلال بالسياق الأكبر الذي أتاح نظم النظائر إلى بعضها. والقاسم المشترك بين هذه الطوائف الثلاث هو توافقهم في إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهذه أرضية مشتركة التقوا فيها للطعن في صدق النبي- صلى الله عليه وسلم- ؛ فلا غرو أن يشملهم لفظ(الكفر).

وسياق السورة أيضا يعاضد هذه الاحتمالات ؛ فمن أول السورة إلى هذا الموضع نُصَّ على ذكر الطوائف الثلاث:اليهود ، والمنافقين ، والمشركين ، وكلهم من الذين كفروا.

وهذا ، وإن كان الكلام في الأصل من بنات أفكار القفال إلاَّ أن أبا حيان استحسنه وارتضاه.

**النموذج الثالث**-قال تعالى:﴿**يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40) وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ**﴾ [البقرة:40-41]

أورد أبو حيان ثلاثة أقوال في المخاطب بهذه الآية"[18]":

1-من كان بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وما والاها من بني إسرائيل.

2-من أسلم من اليهود وآمن بالنبيّ صلى الله عليه وسلم.

3-أسلاف بني إسرائيل وقدماؤهم.

ثم عقَّب على ذلك بقوله:"وَالْأَقْرَبُ الْأَوَّلُ ، لِأَنَّ مَنْ مَاتَ مِنْ أَسْلَافِهِمْ لَا يُقَالُ لَهُ: ﴿**وَآمِنُوا بِما أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ**﴾ ، إِلَّا عَلَى ضَرْبٍ بَعِيدٍ مِنَ التَّأْوِيلِ ، ولأَنّ من آمن منهم لا يقال له:﴿**وَآمِنُوا بِما أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ**﴾ ، إِلَّا بمجاز بعيد"[19].

فحكَّم السياق ممثَّلا في اللحاق في تقوية القول الأول وتضعيف القولين الآخرين ؛ لأن من مات من أسلاف اليهود لا يصح أن يطالبوا بالإيمان وهم قد فارقوا الحياة ، ولأن من آمن منهم لا يصح أن يطلب منه الإيمان مجدّدا إلا بارتكاب مجاز بعيد ؛ فكان القول الأول أنسب لمعنى الآية لملاءمته سياقها.

**النموذج الرابع**-قال تعالى:﴿**وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ**﴾ [البقرة:41]

في المخاطب بهذه الآية قولان:

الأول: أنه أمر لبني إسرائيل على وجه العموم.

الثاني: أنه خطاب لكعب بن الأشرف وأصحابه علماءِ اليهود ورؤسائِهم.

وقد رجّح أبو حيّان -رحمه الله -أنّ الخطاب موجّه لبني إسرائيل كافّة ؛ لأن السباق كان معهم ، فهم المأمورون قبل هذه الآية ، فيستمر الخطاب لهم هنا ، ويندرج فيه كعب ومن معهم من رؤساء اليهود وأحبارهم ؛ لأنه في ظاهر السياق معطوف على قوله قبله:﴿يا **بني إسرائيل اذكروا نعمتي**﴾ ؛ فيدخل الكلام في معنى ما قبله"[20].

**النموذج الخامس**-قال تعالى: ﴿قال **أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ**﴾ [البقرة:61]

اختلف في تحديد المتكلم في هذه الآية بناء على الاختلاف في تحديد عائد الضمير المستتر في الفعل(قال)، وقد حصر المؤلف الاحتمالَ في عائدين ، هما:

1-موسى عليه السلام ؛ لأن الخطاب والطلب كان له في سباق الآية ، وهو مذكور في الكلام ، في قوله تعالى:﴿**وإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ**﴾ ؛ فيكون هو المتصدّي للردّ على طلبهم ، والموبّخ لهم على ما سألوه.

2-الله جلّ وعزّ ؛ إذ هو المرغوب في دعوته من طرف بني إسرائيل ، فهو كالمذكور في الكلام ، وهو الآمر بالهبوط إلى مصر في لحاق الآية على رأي أبي حيان بقوله تعالى:﴿**اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ**﴾ ؛ فأراد المولى تعالى قبل أن يجيبهم أن يؤنّبهم"[21]". فيكون هو فاعل (قال)، وهو الصادر منه الأمر بالهبوط إلى مصر.

وقد انتظم لأبي حيان هذا التوجيه الضميريّ ارتكازا منه على السياق بسباقه ولحاقه ؛ وقد بيَّن ميله إلى المرجع الأول بقوله:"ظاهرٌ عوده على موسى"[22] ، بناء على أنه المتحدَّث معه ؛ فيكون فعل القول له ، والأمر بالهبوط صادرا عنه ، مع عدم نفي احتمالية عوده على الرب تعالى ؛ فلا تناقض بينهما ؛ لانفتاح السياق على المرجعين ، واحتضانه لهما.

**النموذج السادس**-قال تعالى:﴿ **فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68)**﴾ [البقرة:68]

أورد أبو حيان قولين في تعيين المخاطِب في الآية ، فقال:"﴿**فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ**﴾: أَي من ذبح البقرةِ ، وَلَا تُكرّروا السُّؤال ، وَلَا تَعَنَّتُوا في أَمر ما أُمرتم بذبحه. ويحتمل أن تكون هذه الجملة من قول اللَّهِ ، وَيُحتمل أَن تكون من قول موسى ، وهو الْأَظهر ؛ حرّضهم على امتثال ما أمروا به ، شفقة منه"[23].

رجّح أبو حيّان-رحمه الله-أنّ المخاطِب لهم بذلك موسى عليه السلام ، وهو إن لم يبيّن مأخذه السياقيّ فظاهر أنه اعتمد على السياق ؛ وتدل عليه عبارته:"حرّضهم على..." ؛ إذ المراجعات في شأن البقرة وذبحها كانت بين موسى وقومه ، وهو كان في غاية الحرص على أن يمتثلوا ما أمروا به ، شفقة منه عليهم أن تصيبهم عقوبة إن لم يفعلوا الأمر.

**النموذج السابع**-قال تعالى: ﴿**فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73)**﴾ [البقرة:73]

اختلف في المخاطَب بقوله تعالى:﴿**كَذلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتى**﴾ على قولين ، فقيل أنهم :"[24]

أ-بنو إسرائيل ممَّن حضروا إحياء القتيل.

ب- منكرو البعث في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، من باب تلوين الخطاب.

واستظهر أبو حيان القول الأول مستضيئًا بمعطيات السياق ؛ فالآية التي وردت فيها العبارة الفارطة تقع ضمن دائرة قصة ذبح البقرة وقضية القتيل ، فهي معطوفة عليهما في نسق واحد ، سائرة في ركابهما ، متعلقة بأهدابهما ، ثم هناك الضمائر في ذيل الآية﴿**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ وبداية التي تليه﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾ ، والظاهر رجوعها على بني إسرائيل ؛ فهم المقصود الأول والأوحد بقسوة القلوب وغلظها ؛ وانطلاقا من هذا قرر المؤلف أن ثمة إضمار قول قبل العبارة الفارطة ، والتقدير:"وقلنا لهم:كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة" ، أي أنه من بقية المَقُول لبني إسرائيل ، فتعين أن يقدَّر قبله: (وقلنا لهم...).

وفي هذا الترجيح الحيانيّ اعتماد بارز على السباق واللحاق المندرجان-هنا- تحت سياق المقطع.

**النموذج الثامن**-قال تعالى:﴿ **أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75)**﴾[البقرة:75]

من المطموع في إيمانه في هذه الآية؟ ذكر العلماء في سبب نزول هذه الآية أقاويل كثيرة ،ويرى أبو حيان أن هذه الأقاويل كلها تصب في الحديث عن استحالة إيمان اليهود الذين كانوا معاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم الْأَنْصَارِ"[25]" ، وقد حصر المؤلف الموصوفَ في(اليهود) الذين بين أظهر المسلمين فِي زَمَانِ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دون غيرهم ؛ استنادا إلى سبب النزول (السياق غير اللغويّ) الذي دار-باختلاف صيغه وشخصياته-حولهم ؛ باعتبار أنهم كانوا حلفاء للأنصار ، وبينهم جوار ورَضاعة ، ولأنهم كانوا أهل كتاب وشريعة"[26]" ؛ فأطمعت هذه الأمورُ المسلمينَ في إيمان اليهود.

كما انطلق المؤلف من هذا السياق غير اللغويّ لتحديد المخاطَب بالآية ؛ فعدَّد مجموعة من المخاطبين وفق ما أمْلَته أقاويل سبب النزول ، وليس في أحدها قطعٌ لدابر الاحتمال.

**النموذج التاسع**-قال تعالى:﴿**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (78)**﴾[البقرة:78]

رجّح أبو حيّان-رحمه الله- نزول هذه الآية في اليهود المتقدّم ذِكْرُهُم ،فالموصوف بالأمّية هنا هم ؛ بشهادة السباق ؛ يقول أبو حيان :"﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾: ظاهر الْكَلَامِ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ الْمَذْكُورِينَ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَ هَذِهِ...وَقِيلَ:فِي الْمَجُوسِ...وَقِيلَ: فِي الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَالضَّحَّاكُ: فِي نَصَارَى الْعَرَبِ ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يُحْسِنُونَ الْكِتَابَةَ. وَقِيلَ: فِي قَوْمٍ مِنْ

أَهْلِ الْكِتَابِ ، رُفِعَ كِتَابُهُمْ لِذُنُوبٍ ارْتَكَبُوهَا ، فَصَارُوا أُمِّيِّينَ. وَقِيلَ: فِي قَوْمٍ لَمْ يُؤْمِنُوا بِكِتَابٍ وَلَا بِرَسُولٍ ، فَكَتَبُوا كِتَابَهُمْ وَقَالُوا: هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَسُمُّوا: أُمِّيِّينَ ، لِجُحُودِهِمُ الْكِتَابَ ، فَصَارُوا بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَا يُحْسِنُ شَيْئًا. وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ هُوَ الْأَظْهَرُ ؛ لِأَنَّ سِيَاقَ الْكَلَامِ إِنَّمَا هُوَ مَعَ الْيَهُودِ ، فَالضَّمِيرُ لَهُمْ"[27].

فالسياق القرآني في هذه السورة يبدأ الحديث مع اليهود وعنهم ابتداء من الآية الأربعين ، في قوله:﴿ **يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴾ ، إلى غاية هذه الآية ، ويستمر الكلام عنهم إلى ما بعدها من آيات ؛ فالآيات متلاحمة مترابطة على هذا القول ؛ فيكون-بذلك-وصف الأمّيّة ثابتا لفرقة منهم ، هي العامّة التي طريقها التقليد"[28]" ، ويكون استدلال أبي حيان السياقيّ في محلّه.

**النموذج العاشر**-قال تعالى:﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (83)** ﴾[البقرة:83]

هل المخاطب هنا هم بنو إسرائيل أم الأمّة ؟ رجّح أبو حيّان -رحمه الله- القول الأول متّكئا على دلالة السياق ؛ فيقول:"اخْتَلَفُوا فِي الْمُخَاطَبِ بِقَوْلِهِ:"وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا" ، مَنْ هُوَ؟ فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ الْمِيثَاقِ الْمَأْخُوذِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ، وَأَنْ تَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا...وَقِيلَ: الْمُخَاطَبُ الْأُمَّةُ ، وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ ؛ لِتَكُونَ الْقِصَّةُ وَاحِدَةً مُشْتَمِلَةً عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَلِتُنَاسِبَ الْخِطَابَ الَّذِي بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ:(ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ)، إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ إِلاّ أَنْ يَكُونَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ"[29].

فسباق الآية ، وهو قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ ، يفرض أن يكون المخاطب هنا هو نفسه المخاطب قبل ؛ لتتحد القصة ، وتتوافق الضمائر. ومن جهة أخرى ، ليحصل تناسب وانسجام بينها وبين لحاق الآية ، وهو قوله تعالى:﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ ، لِمَا عرف عن بني إسرائيل من الإعراض عن الميثاق والعمل بما فيه ، وليس هذا من صفة هذه الأمة.

**النموذج الحادي عشر**-قال تعالى:﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (91)** ﴾[البقرة:91]

رجّح أبو حيّان-رحمه الله- أنّ المعنيّ بهذه الآية مَن كان بحضرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مِن اليهود ، والمراد آباؤهم ، فرغم أن الإخبار كان عن اليهود الذين بحضرة الرسول

صلى الله عليه وسلم إلاّ أن سياق الآية ممثلا في لحاقها مؤشّر على أن المراد بذلك آباؤهم ؛ لحديثه عن قتل الأنبياء ؛ وهذا إنما حصل في الزمان البعيد من تاريخ اليهود وليس في وقت الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد أبان أبو حيان عن جهة وصف يهود زمن الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه قتلوا الأنبياء مع أنهم لم يفعلوا ذلك وإنما فعله أجدادهم ؛ وهي أنه حصل منهم الرضا بفعلة أجدادهم الشنيعة ، وأنهم جنس واحد ، وأنهم متبعون لهم ومعتقدون ذلك ، وأنهم يتولونهم ؛ فاستحقّوا أن يحشروا معهم في هذا الوصف الذميم "[30]".

**النموذج الثاني عشر**-قال تعالى:﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101)**﴾ [البقرة:101]

الضمير في "جاءهم" عائد على بني إسرائيل ، أو على علمائهم ، أما المراد بالرسول فاختلف فيه على ثلاثة أقوال "[31]":

1-أنه محمد صلى الله عليه وسلم.

2-أنه عيسى عليه السلام.

3-أنه بمعنى الرسالة ، فيكون مصدرا.

وقد مال أبو حيان إلى القول الأول ، مقوّيًا إياه بالسياق ؛ فترجّح على ما خالفه ؛ فالسباق متمحّض لخطاب اليهود وذكر مخازيهم وفضح قبائح أفعالهم مع الأنبياء ، وقد خاطب الله تعالى في ضمن ذلك رسوله بقوله:﴿**قل مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ**﴾[البقرة:97] ، بسبب عداوة اليهود لجبريل عليه السلام ، وقال له أيضا:﴿**فإنه نزّله على قلبك**﴾[البقرة:97] ، ثم قال له:﴿**ولقد أنزلنا إليك آيات بيّنات**﴾[البقرة:99] ، فلما جاء إلى هذه الآية نكّب عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة ، والمخاطب والموصوف واحد ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك على طريقة الالتفات كما قال أبو حيان "[32]".

**النموذج الثالث عشر**- قال تعالى:﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**﴾ [البقرة:165]

اختلف المفسرون في المراد بلفظة الناس في الآية ، قال أبو حيان:"لَفْظُ النَّاس عَامٌّ ، وَالْأَحْسَنُ حَمْلُهُ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَعَبَدَةِ الْأَوْثَانِ ؛ فَالْأَنْدَادُ ، بِاعْتِبَارِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، هُمْ رُؤَسَاؤُهُمْ وَأَحْبَارُهُمْ ، اتَّبَعُوا مَا رَتَّبُوهُ لَهُمْ مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ ، وَإِنْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ ، قَالَ تَعَالَى:﴿**اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾[التوبة:31]. وَالْأَنْدَادُ ، بِاعْتِبَارِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، هِيَ الْأَصْنَامُ ، اتَّخَذُوهَا آلِهَةً وَعَبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ.وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالنَّاسِ

الْخُصُوصُ. فَقِيلَ: أَهْلُ الْكِتَابِ. وَقِيلَ: عُبَّادُ الْأَوْثَانِ ، وَالْأَوْلَى الْقَوْلُ الْأَوَّلُ. وَرُجِّحَ كَوْنُهُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ بِقَوْلِهِ:"يُحِبُّونَهُمْ" ، فَأَتَى بِضَمِيرِ الْعُقَلَاءِ ، وَبِاسْتِبْعَادِ مَحَبَّةِ الْأَصْنَامِ ، وَبِقَوْلِهِ:﴿ **إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا** ﴾ ، وَالتَّبَرُّؤُ لَا يُنَاسِبُ إِلَّا العقلاء"[33].

فلفظة (الناس) رغم عمومها إلا أن أبا حيان رجح واستحسن أن المقصود بها هو الطَّائِفَتَانِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ(اليهود والنصارى) وَعَبَدَةِ الْأَوْثَان ؛ باعتبار انحصار اتخاذ الأنداد لله في هذين الصنفين من البشر ، أما عن أنداد أهل الكتاب فهم الرؤساء والرهبان ؛ إذ أن أهل الكتاب كانوا يطيعون السَّادَة والأحبار فيحلّون لمكان طاعتِهِمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، وَيُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ. أما أنداد عبَّاد الأوثان فهي الأصنام ؛ لكونهم اتخذوها آلِهَةً لِتُقَرِّبَهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ، ورجوا من عندها النفع والضرر ، وَقَصَدُوهَا بِالْمَسَائِلِ ، وَنَذَرُوا لَهَا النُّذُورَ ، وَقَرَّبُوا لَهَا الْقَرَابِينَ.

وقد استدل المؤلف للفريق الأول(أهل الكتاب) بالسياق الأكبر ، فآية التوبة ناطقة بذلك ، مُبِينة عنه ، وهي قوله تعالى:﴿ **"اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾[التوبة:31] ، ولم ينشط للاستدلال للفريق الثاني بشيء.

وأردف القولَ المرجَّح عنده بقول آخر ، فيه أنّ"الْمُرَادُ بِالنَّاسِ الْخُصُوصُ ؛ فَقيل: أَهْلُ الْكِتَابِ ، وَقِيلَ: عُبَّادُ الْأَوْثَانِ...ورُجِّحَ كَوْنُهُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ بِقَوْلِهِ:"يُحِبُّونَهُمْ" ، فَأَتَى بِضَمِيرِ الْعُقَلَاءِ ، وَبِاسْتِبْعَادِ مَحَبَّةِ الْأَصْنَامِ ، وَبِقَوْلِهِ:﴿ **إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا** ﴾ ، وَالتَّبَرُّؤُ لَا يُنَاسِبُ إِلَّا العقلاء"[34] ، وهو محض ذهول ووهم من المؤلف ؛ وإيضاح ذلك أن النقل السالف-بخصوص ترجيح كون المقصود بالناس هو أهل الكتاب-مأخوذ من تفسير الرازي ، ولكن وَضَعَه أبو حيان في غير موضعه ؛ فالرازي أورد تلك الوجوه الثلاثة في تفسير المقصود بالأنداد لا في تعيين المقصود بالناس"[35]" ، مع ما شَابَ النقل الحيّاني من إيجاز أخلَّ بفحوى كلام الرازي ؛ ويبدو أن أبا حيان اختلط عليه الأمر لسبب من الأسباب ، وأيّ الرجال المهذَّب ؟

**النموذج الرابع عشر**-قال تعالى:﴿ **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ** ﴾[البقرة:231]

اختلف في المخاطبين بهذه الآية ؛ فقيل أنهم:

1-الأزواج.

2-الأولياء.

وقد رجّح أبو حيّان -رحمه الله-كون الخطاب للأزواج ، واستبعد أن يكون الخطاب للأولياء ؛ محتجًّا بسياق الآية(اللِّحاق) ؛ لأن الإمساك أو التسريح للنساء مردّه إلى الأزواج لا إلى الأولياء"[36]".

**النموذج الخامس عشر**- قال تعالى:﴿**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (232)**﴾[البقرة:232]

اختلفوا في المخاطَبين بهذه الآية تبعا لاختلاف سبب النزول ، فقيل[37]:

1-نزلت في كلّ من مَنَع امرأة من نسائه عن النكاح بغيره إذا طلّقها.

2-نزلت في ابنة عمّ "جابر بن عبد الله" ، طلّقها زوجها وانقضت عدّتها فأراد رجعتها ، فأبى جابر.

3-نزلت في "معقل بن يسار" وأخته "جُمْل" وزوجها "أبو الوليد عَاصِمِ بْنِ عَدِيّ"[38].

قال أبو حيان:"فَعَلَى السَّبَبِ الْأَوَّلِ يَكُونُ الْمُخَاطَبُونَ هُمُ الْأَزْوَاجُ ، وَعَلَى هَذَا السَّبَبِ الْأَوْلِيَاءُ ، وَفِيهِ بُعْدٌ ؛ لِأَنَّ نِسْبَةَ الطَّلَاقِ إِلَيْهِمْ هُوَ مَجَازٌ بَعِيدٌ ، وَهُوَ أن يكون الْأَوْلِيَاءُ قَدْ تَسَبَّبُوا فِي الطَّلَاقِ حَتَّى وَقَعَ ، فَنُسِبَ إِلَيْهِمُ الطَّلَاقُ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ ، وَيَبْعُدُ جِدًّا أَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ فِي:"وَإِذا طَلَّقْتُمُ" لِلْأَزْوَاجِ ، وَفِي "فَلا تَعْضُلُوهُنَّ" لِلْأَوْلِيَاءِ ؛ لِتَنَافِي التَّخَاطُبِ ، وَلِتَنَافُرِ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ ، فَالْأَوْلَى ، وَالَّذِي يُنَاسِبُهُ سِيَاقُ الْكَلَامِ ، أَنَّ الْخِطَابَ فِي الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ لِلْأَزْوَاجِ ؛ لِأَنَّ الْخِطَابَ مِنْ أَوَّلِ الْآيَاتِ هُوَ مَعَ الْأَزْوَاجِ وَلَمْ يَجْرِ لِلْأَوْلِيَاءِ ذِكْرٌ ، وَلِأَنَّ الْآيَةَ قَبْلَ هَذِهِ خِطَابٌ مَعَ الْأَزْوَاجِ فِي كَيْفِيَّةِ مُعَامَلَةِ النِّسَاءِ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ ، وَهَذِهِ الْآيَةُ خِطَابٌ لَهُمْ فِي كَيْفِيَّةِ مُعَامَلَتِهِمْ مَعَهُنَّ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ ، وَيَكُونُ الْأَزْوَاجُ الْمُطَلِّقُونَ قَدِ انْتَهَوْا عَنِ الْعَضْلِ ؛ إِذْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ ظُلْمًا وَقَهْرًا وَحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ يَتَزَوَّجْنَ مَنْ شِئْنَ مِنَ الْأَزْوَاجِ ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَعْنَى:"أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ" أَيْ: مَنْ يُرِدْنَ أَنْ يَتَزَوَّجْنَهُ ، فَسُمُّوا أَزْوَاجًا بِاعْتِبَارِ مَا يَؤُولُونَ إِلَيْهِ"[39].

نلاحظ أن أبا حيّان استبعد أن يكون الخطاب للأولياء مرتكحا على وجوه سياقية ، هي:

**الوجه الأول**:استبعاد نسبة الطلاق إليهم ، بأن يكونوا سببا فيه ، ولو على سبيل المجاز ؛ وصنيعه هذا يدل على تغليبه القول بالحقيقة على القول بالمجاز.

**الوجه الثاني**:تَنَافِي التَّخَاطُبِ ، وَتَنَافُرِ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ: وتوضيح ذلك أنّ قوله تعالى:"وَإِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ" جُمْلَةٌ وَاحِدَةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنْ شَرْطٍ وَجَزَاءٍ ، فَالشَّرْطُ قَوْلُهُ:﴿**وَإِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ**﴾ ، وَالْجَزَاءُ قَوْلُهُ: "فَلا تَعْضُلُوهُنَّ" ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الشَّرْطَ وَهُوَ قَوْلُهُ:"وَإِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ" ، خِطَابٌ مَعَ الْأَزْوَاجِ ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْجَزَاءُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ:"فَلا تَعْضُلُوهُنَّ" ، خِطَابًا مَعَهُمْ أَيْضًا ، فيكون الخطاب موجَّها إلى جهة واحدة ؛ إِذْ لَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَصَارَ تَقْدِيرُ الْآيَةِ:"إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ" ؛

فيحصل توزيع للضمائر ، ينجم عنه تفكيك لها ، وَحِينَئِذٍ لَا يَكُونُ بَيْنَ الشَّرْطِ وَبَيْنَ الْجَزَاءِ مُنَاسَبَةٌ أَصْلًا ؛ وَذَلِكَ يُوجِبُ تَفَكُّكَ نَظْمَ الْكَلَامِ ، وَتَنْزِيهُ كَلَامِ اللَّهِ عَنْ مِثْلِهِ وَاجِبٌ"[40].

**الوجه الثالث**: كون الْخِطَاب مِنْ أَوَّلِ الْآيَاتِ هُوَ مَعَ الْأَزْوَاجِ وَلَمْ يَجْرِ لِلْأَوْلِيَاءِ ذِكْرٌ ، فمِنْ أَوَّلِ آيَةٍ فِي الطَّلَاقِ إلَى هَذَا الْمَوْضِعِ كَانَ الْخِطَابُ كُلُّهُ مَعَ الْأَزْوَاجِ ، وَالْبَتَّةَ مَا جَرَى لِلْأَوْلِيَاءِ ذِكْرٌ ؛ فَكَانَ صَرْفُ هَذَا الْخِطَابِ إلَى الْأَوْلِيَاءِ عَلَى خِلَافِ النَّظْمِ.

**الوجه الرابع**: مَا قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ خِطَابٌ مَعَ الْأَزْوَاجِ فِي كَيْفِيَّةِ مُعَامَلَتِهِمْ مَعَ النِّسَاءِ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ ، وهو قوله تعالى:﴿**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾[البقرة:231] ، فَإِذَا جَعَلْنَا هَذِهِ الْآيَةَ خِطَابًا لَهُمْ فِي كَيْفِيَّةِ مُعَامَلَتِهِمْ مَعَ النِّسَاءِ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ كَانَ الْكَلَامُ مُنْتَظِمًا ، وَالتَّرْتِيبُ مُسْتَقِيمًا ، أَمَّا إذَا جَعَلْنَاهُ خِطَابًا لِلْأَوْلِيَاءِ لَمْ يَحْصُلْ فِيهِ مِثْلُ هَذَا التَّرْتِيبِ الْحَسَنِ اللَّطِيفِ ، فَكَانَ صَرْفُ الْخِطَابِ إلَى الْأَزْوَاجِ أَوْلَى.

**النموذج السادس عشر**-قال تعالى: ﴿**وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ [البقرة:237]

اختلف في المخاطَبين بهذه الآية على ثلاثة أقوال:

1-أنهم الأزواج والزوجات معا.

2-أنهم جمع الناس.

3-أنهم الأزواج فقط.

وقد رجّح أبو حيّان -رحمه الله- أنّ هذا خطاب للأزواج ، إذ يقول:"والذي يظهر أنه خطاب للأزواج فقط ، وقال الشّعبي:"إذ هم المخاطبون في صدر الآية" ، فيكون ذلك مِن الالتفات ، إذ رَجَعَ مِن ضمير الغائب ، وهو الذي بيده عقدة النكاح على ما اخترناه في تفسيره ، إلى الخطاب الذي استفتح به صدر الآية. وكون عفو الزّوج أقرب للتقوى مِن حيث إنه كَسَرَ قلب مُطَلّقَتِه ، فيجبرها بدفع جميع الصّداق لها ؛ إذ كان قد فاتها منه صحبته فلا يفوتها منه نِحْلَتَه ؛ إذ لا شيء أصعب على النّساء مِن الطّلاق ، فإذا بذل لها جميع المهر لم تيأس مِن ردِّها إليه ، واسْتَشْعَرَتْ مِن نفسها أنه مرغوب فيها ، فانجَبَرَت بذلك"[41].

وحجّته في ذلك أن سباق الآية ، وهو قوله تعالى:﴿**وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ ، يقوّي ذلك ؛ باعتبار أن الأزواج هم المخاطبين في صدر الآية ، ثم صار الحديث عنهم بضمير المفرد الغائب في قوله:﴿**أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح**﴾ ، ليعود الضمير من جديد إلى حالة الجمع الأولى مرادا بها الأزواج ، على طريقة الالتفات.

ثم ينحو أبو حيان منحى سياقيًّا آخر ، مستقيا إياه من سباق الآية ولحاقها ؛ وهو ربط ما يحدثه طلاق الزوج في زوجته من مواجع وأحزان بما في بذله لها جميع المهر من جبر قلبها وتحسين نفسيّتها ، وهو بذلك يكون أقرب للتقوى بعفوه هذا.

**النموذج السابع عشر**-قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (244)**﴾ [البقرة:244]

اختلف في المخاطَبين هنا على قولين:

1-أنهم أمةمحمد صلى الله عليه وسلم.

ب-أنهم من أحياهم الله بعد موتهم.

وقد رجّح أبو حيان القول الأول استنادا إلى سباق الآية ؛ فقال:"هذا خطاب لهذه الأمّة بالجهاد في سبيل الله ، وتقدّمت تلك القصّة كما قلنا ؛ تنبيهاً لهذه الأُمّة أن لا تفرّ مِن الموت كفرار أولئك ، وتشجيعاً لها وتثبيتاً...والذي يظهر القول الأوّل ، وأنّ هذه الآية ملتحمة بقوله:﴿**حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ**﴾[البقرة:238] ، وبقوله:﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً**﴾[البقرة:239] ؛ لأنّ هذا إشعار بلقاء العدو ، ثم ما جاء بين هاتين الآيتين جاء كالاعتراض ، فقوله:﴿**وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوف**﴾[البقرة:241] ، تتميم ، أو توكيد لبعض أحكام المطلّقات ، وقوله:﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِين**﴾ اعتبار بمن مضى ممّن فَرّ مِن الموت ، فمات ، أن لا ننكص ولا نحجم عن القتال"[42].

فإن الله تعالى لمّا حثَّ المؤمنين على المحافظة على الصلوات ، وبيَّن كيف يصلّون إذا وقع الخوف من عدوّ ، كان ذلك مظنّة لقاء العدو ، فلذلك ذكّر الله المؤمنين هنا بأهمية القتال ، والثبات عليه ، لئلا ينكصوا كما نكص الذين من قبلهم ممن ذكروا في قوله تعالى:﴿**ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف**﴾[البقرة:243] ؛ وبهذا يظهر أن المخاطبين هنا هم عامة المؤمنين لا من أحياهم بعد موتهم ، وهذا استنطاق ممتاز للسياق.

**النموذج الثامن عشر**-قال تعالى: ﴿**قَالَ كَمْ لَبِثْتَ**﴾[البقرة:259]

اختلف في القائل هنا ،على خمسة أقوال ، فقيل أنه"[43]":

1-الله تعالى.

2-هاتف من السماء.

3-جبريل عليه السلام.

4-نبيّ.

5-رجل مؤمن حضره حين مات ، وعاش إلى حين إحيائه.

وقد رجّح أبو حيّان-رحمه الله- أن القائل هو الله تعالى استنادا إلى لحاق الآية ، وهو قوله تعالى:﴿**كَيْفَ نُنشِزُهَا** ﴾ ، وذلك أن اللحاق ، وهو قوله تعالى:﴿**فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[البقرة:259] ، ولا سيما قوله:﴿**كيف ننشزها ثم نكسوها لحما** ﴾" ، يدل على أن فاعل هذه الأشياء المعجزة هو الله تعالى ، و"القول الذي تؤيّده قرائن في السّياق مرجّح على ما خالفه"[44].

**النموذج التاسع عشر**-قال تعالى:﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾[البقرة:279]

اختلف في المخاطبين بهذه الآية ؛ فقيل أن الخطاب مع:

1-المؤمنين.

2-الكفار المستحلّين للربا.

وقد مال أبو حيّان إلى أنّهم المؤمنون ؛لأن الآية قد صدّرت بذكرهم"[45]" ، وهذا منه إعمال لدلالة السياق ؛ حيث أن قوله تعالى:﴿**فأذنوا** ﴾ هو خطاب مع قوم تقدّم ذكرهم ، وهم المخاطبون بقوله:﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا** ﴾[البقرة:278] ، وذلك يدل على أن الخطاب مع المؤمنين.

**النموذج العشرون**-قال تعالى: ﴿**مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (4)** ﴾[آل عمران:4]

اختلف المفسرون في الموصوف بقوله:﴿**هدى للناس** ﴾ ، هل هو للتوراة والإنجيل فقط ، أم يشمل القرآن ؟

واستظهر أبو حيان أن الوصف بقوله:"هدى للناس" عائد إلى التوراة والإنجيل فقط ، وعدم تثنيته راجعة إلى أنه مصدر ، والمصدر لا يثنى"[46]". وعلّل ذلك سياقيّا ، فقال:"قيل: وَخَصَّ الْهُدَى بِالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ هُنَا ، وَإِنْ كَانَ الْقُرْآنُ هُدًى ؛ لِأَنَّ الْمُنَاظَرَةَ كَانَتْ مَعَ النَّصَارَى وَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ بِالْقُرْآنِ ، بَلْ وُصِفَ بِأَنَّهُ حَقٌّ فِي نَفْسِهِ ، قَبِلُوهُ أَوْ لَمْ يَقْبَلُوهُ ، وَأَمَّا التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ فَهُمْ يَعْتَقِدُونَ صِحَّتَهُمَا ، فَلِذَلِكَ اخْتُصَّا فِي الذِّكْرِ بِالْهُدَى"[47].

استند أبو حيان في ترجيحه للموصوف بالهدى في الآية على السياق الخارجيّ للآية متمثلا في سبب نزولها فيما ذكره الجمهور ، وهو قصة مناظرة وفد نصارى نجران للرسول صلى الله عليه وسلم ، "فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ صَدْرَ هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى نَيِّفٍ وَثَمَانِينَ آيَةً مِنْهَا ، إِلَى أَنْ دَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الِابْتِهَالِ"[48] ، وإنما خصت التوراة والإنجيل بهذا القيد

والصفة في هذا الموضع لاعتقادهم صحتهما ، وهو من إلزامهم بما عندهم من الكتابين ليهتدوا بما أنزل إليهم فيهما ، ومما فيهما الدلائل الساطعة والبراهين القاطعة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة الدين الذي أرسل به ، أما القرآن فوصف هنا بأنه حقّ ولم يوصف بأنه هدى ؛ لأنه في نفسه كذلك ، ولا يحتاج إلى قبولهم ولا يتأثر برفضهم ليكون كذلك ، فناسب أن يُغايَر بين وصف الكتب الثلاثة حسب ما يقتضيه السياق ، وهذا هو الفرق الموجب اختصاص هذا الموضع بما ورد فيه وفق رأي أبي حيان.

**النموذج الحادي والعشرون**-قال تعالى:**﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ** ﴾[آل عمران:19]

اختلف المفسّرون في المعنيّ بالاسم الموصول(الذين) وفي الأمر المختلف فيه بين الذين أوتوا الكتاب ، فحكى أبو حيان ثلاثة أقوال وردت في تعيين المعنيّ بالاسم الموصول(الذين) ،وهي أنهم"[49]":

1-اليهود والنصارى.

2-أو هما والمجوس.

ثم ربط بين المختلفين والأمر المختلف فيه بينهم ،وفق ما في هذا الجدول التالي"[50]".:

| المخلِتفون | المختلف فيه |
|---|---|
| اليهود | 1-التوراة.<br>2-نبوة محمدصلى الله عليه وسلم:<br>أ-بُعث إلى العرب خاصة.<br>ب-ليس بنبي مبعوث. |
| النصارى | 1-دينهم.<br>2-أمر عيسى عليه السلام.<br>3-دين الإسلام. |
| اليهود والنصارى | 1-تركهم للإسلام وتبني النصارى لعقيدةالتثليث ، واعتقاد اليهود ببنوة عزير لله.<br>3-الاختلاف في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بين مؤمن به وكافر.<br>4-الاختلاف في الإيمان بالأنبياء ، بين من آمن بموسى ، ومن آمن بعيسى. |

وبعد أن ساق الأقوال السابقة ، اختار ورجَّح منها أن يكون المراد بالذين أوتوا الكتاب هنا عموم من يشمله هذا اللفظ ، فيعم الفريقين:اليهود والنصارى ، ورجح أن المختلف فيه بينهم هو الإسلام ، مستدلا عليه بالسياق بنوعيه الأصغر والأكبر ؛ حيث:

1-استدل له بالأول من خلال ما يقرره سباق الآية من أن الإسلام هو الدين المرضيّ عند اللَّه ، وما عداه فليس عنده في شيء من الدين ، ثم أردفه بالإخبار عن اختلاف أهل الكتاب في الإسلام على علم منهم بالحقائق.

2- واستدل له بالسياق الأكبر ممثلا في الآية 213 من سورة البقرة:":﴿**وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ**﴾ ؛ فما نأت هاتان الطائفتان عن الإسلام إِلَّا مِنْ بعد ما جاءهم الْعِلْم الّذي هو سبب لِاتِّبَاع الْإِسْلَامِ ، وَالاتّفاق على اعتقاده ، والعمل به ، لَكِنْ البغي بينهم على الدنيا ، طلبا لسلطانها وملكها وخزائنها وزخرفها أعماهم عَن طريق الْعِلْمِ وسلوكه ، فكانوا ممَّن ضلَّ على علم".[51]. فالآيتان تحومان حول معنى واحد متشابه ، والقول الذي تؤيده قرائن السياق مرجح على ما خالفه".[52].

**النموذج الثاني والعشرون**- قال تعالى:﴿**وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49)**﴾ [آل عمران: 49]

ذكر أبو حيان احتمالين للمتكلم بهذه الجملة ، إما أن يكون الكلام من عيسى عليه السلام ، وإما أن يكون من الله تعالى ، وكلا الاحتمالين وارد ، لشفاعة السياق له ، يقول المؤلف موضحا ذلك:"ظَاهِرُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ أَنَّهَا مِنْ كَلَامِ عِيسَى ؛ لِاحْتِفَافِهَا بِكَلَامِهِ مِنْ قَبْلِهَا وَمِنْ بَعْدِهَا ، حَكَاهُ اللَّهُ عَنْهُ. وَقِيلَ: هُوَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى ، اسْتِئْنَافٌ صِيغَتُهُ صِيغَةُ الْخَبَرِ ، وَمَعْنَاهُ التَّوْبِيخُ وَالتَّقْرِيعُ ، وَأُشِيرَ بِـ"ذَلِكَ" إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ جَعْلِ الطِّينِ طَائِرًا ، وَالْإِبْرَاءِ وَالْإِحْيَاءِ وَالْإِنْبَاءِ".[53].

فكونها من كلام عيسى -عليه السلام- مرجعه إلى توسطها بين كلام له سابق ، وهو الآية49: ، وكلام له لاحق ، وهو الآية:50 ؛ لذلك ساغ أن تحمل على أنها من كلامه عليه السلام ، وأما كونها من كلام الله تعالى فمرده إلى أنها جملة جديدة ، غرضها التوبيخ والتقريع لمن لم يؤمن بعيسى عليه السلام بعد كل تلك المعجزات التي أجراها الله تعالى على يده ؛ ومن ثَمَّ ساغ أن تحمل الجملة على أنها من كلام المولى عز وجلَّ.

**النموذج الثالث والعشرون**-قال تعالى:﴿**قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64)**﴾[آل عمران:64]

ذكر أبو حيان أربعة أقوال في المخاطَب بالآية ، وهي"[54]":

1-وفد نجران ، لَمَّا أَبى أَهْل نَجْرَانَ مَا دُعُوا إِلَيْهِ مِنَ الْمُلَاعَنَةِ ، دُعُوا إِلَى أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَهِيَ الْكَلِمَةُ السَّوَاءُ.

2-قسِّيسو الحبشة ورهبانها زمن وجود جعفر-رضي الله عنه- وأصحابه عند النجاشي.

3-يهود المدينة ، وهم الذين حاجّوا في إبراهيم ، وقد ذُكِرت المحاجَّة في الآية التي بعدها.

4-اليهود والنصارى ، قالوا: يا محمّد! ما تريد إِلَّا أَنْ نَقُولَ فِيكَ مَا قَالَتِ الْيَهُودُ فِي عُزَيْرٍ ؟

ثم أبدى المؤلف ميله إلى القول الأول ، فرغم عمومية لفظ"يا أهل الكتاب" وشموله لكل من أوتي كتابا ، بحسب العموم المستفاد من ظاهر اللفظ ، فيدخل فيه اليهود والنصارى على حد سواء ، بَيْد أن تخصيصه بالنصارى(وفد نجران) أقرب إلى الصواب عند المؤلف ؛ لسببين هما"[55]":

أ-لِأَنَّ الدَّلَالَةَ وَرَدَتْ عَلَيْهِمْ.

ب- الْمُبَاهَلَة مَعَهُمْ.

والسبب الأول-بالعبارة المذكورة-لم أفهمه ابتداء ، ثم وجدت أنه منقول من كلام الرازي(ومثله السبب الثاني) ، نقله أبو حيان استحسانا له ، ولكن غيَّر فيه بما أبهم معناه ، من وجهة نظري ؛ وبالوقوف على كلام الرازي يماط الغموض عنه ، حيث يقول هذا الأخير:"وَعِنْدِي أَنَّ الْأَقْرَبَ حَمْلُهُ عَلَى النَّصَارَى ؛ لِمَا بَيَّنَّا أَنَّهُ لَمَّا أَوْرَدَ الدَّلَائِلَ عَلَيْهِمْ أَوَّلًا ، ثُمَّ بَاهَلَهُمْ ثَانِيًا ، فَعَدَلَ فِي هَذَا الْمَقَامِ إِلَى الْكَلَامِ الْمَبْنِيِّ عَلَى رِعَايَةِ الْإِنْصَافِ..."[56] ؛ فانظر إلى الفرق بين العبارتين!

وعلى هذا ، فمقصد أبو حيان بالسبب الأول ، وهو الدلائل المُورَدة على النصارى ، ما عبَّر عنه الرازي نفسه بقوله قبل هذا:"اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَيَّنَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ وُجُوهًا مِنَ الدَّلَائِلِ الْقَاطِعَةِ عَلَى فَسَادِ قَوْلِ النَّصَارَى بِالزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ ، وَأَتْبَعَهَا بِذِكْرِ الْجَوَابِ عَنْ جَمِيعِ شُبَهِهِمْ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِقْصَاءِ التَّامِّ"[57] ؛ وهذا منه استدلال بالسياق الحافّ(السياق الأصغر) على تحديد المخاطب.

وأما السبب الثاني ، وهو كون المباهلة كانت مع النصارى ، فهو أيضا تحكيم للسياق الأصغر ؛ فقد نصّت الآية(61) على هذه القضية ، مما يبرهن على جريان الآية المدروسة

والآيات التي سبقتها في مجرى سياقي متحد، وانتظامها في سلك معنوي واحد، أحكم ربطها، ومتّن تماسكها.

وأما مخاطبة المولى تعالى لهم بلفظ(يا أهل الكتاب) -مع ما فيه من عموم- فجاء"هَزًّا لَهُمْ فِي اسْتِمَاعِ مَا يُلْقَى إِلَيْهِمْ، وَتَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ أَهْلَ كِتَابٍ مِنَ اللَّهِ يَنْبَغِي أَنْ يَتْبَعَ كِتَابَ اللَّهِ"[58]، فبعد أن"قَطَعَهُمْ بِالدَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ فَلَمْ يُذْعِنُوا، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ فَامْتَنَعُوا، عَدَلَ إِلَى نَوْعٍ مِنَ التَّلَطُّفِ، وَهُوَ: دُعَاؤُهُمْ إِلَى كَلِمَةٍ فِيهَا إِنْصَافٌ بَيْنَهُمْ"[59]، يقول الرازي موضحا ذلك:"فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ اتْرُكْ ذَلِكَ الْمَنْهَجَ مِنَ الْكَلَامِ وَاعْدِلْ إِلَى مَنْهَجٍ آخَرَ يَشْهَدُ كُلُّ عَقْلٍ سَلِيمٍ وَطَبْعٍ مُسْتَقِيمٍ أَنَّهُ كَلَامٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِنْصَافِ وترك الجدال، وقُلْ يَا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَيْ هَلُمُّوا إِلَى كَلِمَةٍ فِيهَا إِنْصَافٌ مِنْ بَعْضِنَا لِبَعْضٍ، وَلَا مَيْلَ فِيهِ لِأَحَدٍ عَلَى صَاحِبِهِ، وَهِيَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً"[60].

وقد ظهرت هنا ثمرة استغلال السياق لتحديد المخاطب في الآيات، وأثره في ترابط الآية مع أخواتها.

**النموذج الرابع والعشرون**-قال تعالى:**﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103)﴾**[آل عمران:103]

في المخاطبين بهذه الآية قولان، إما أنهم"[61]":

1-مشركو العرب.

2-الأوس والخزرج.

فالآية تشير إلى وجود عداوة بين فئة من العرب، فلما جاء الله بالإسلام فدخل فيه من دخل منهم، صاروا إخوانا متحابين بجلال الله، متواصلين في ذات الله، متعاونين على البر والتقوى، فمن هي هذه الفئة المخاطبة؟

بالنظر إلى القرائن الخارجية التي يمثلها السياق الخارجي اهتدى المؤلف إلى أن المخاطب هو الأوس والخزرج؛ وذلك أن العرب إبان نزول هذه الآية توفر فيهم أمران:

الأول: عدم الدخول تحت راية الإسلام بعد.

الثاني: انعدام التآلف والتصافي بينهم.

والأمر الأول مقتضاه أن الخطاب بالاعتصام بحبل الله وتجنب التفرق وذكر نعم الله ليس موجها للعرب؛ لتخلف شرط الإسلام فيهم. والأمر الثاني مقتضاه أن الامتنان عليهم بالنعمة

المشار إليها في الآية ليس موجها لهم ؛ لأنهم لم يكونوا مؤتلفي القلوب ، وإنما تحقق الأمران في الأوس والخزرج ؛ فالآية إشارة إليهم وإلى أحوالهم ؛ إذ من المشهور المتعالم بين العرب أن الأوس والخزرج استحرَّت الحرب بينهما في الجاهلية ، وتأصلت العداوة الشديدة ، وكثرت الذحول التي طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم ، فلما جاء الله بالإسلام انقلبت أحوالهم إلى النقيض من ذلك ؛ مما يرجح أن الخطاب لهم.

**النموذج الخامس والعشرون**-قال تعالى:﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (77)**﴾ [النساء:77]

اختار أبو حيان أن القائل في قوله تعالى:﴿**وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ**﴾ هم من المنافقين ، واتكأ على اللحاق للتدليل على ذلك ، فقال:"الظَّاهِرُ أَنَّ الْقَائِلِينَ هَذَا: هُمْ مُنَافِقُونَ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَمَرَ بِشَيْءٍ لَا يَسْأَلُ عَنْ عِلَّتِهِ مَنْ هُوَ خَالِصُ الْإِيمَانِ ، وَلِهَذَا جَاءَ السِّيَاقُ بَعْدَهُ:"**وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِكَ**"[النساء:78] ؛ وَهَذَا لَا يَصْدُرُ إِلَّا مِنْ مُنَافِقٍ"[62].

وحجّته أنه -سبحانه تعالى- حكى عنهم أنهم قالوا:﴿**ربنا لم كتبت علينا القتال**﴾ ، والاعتراض على الله ليس إلا من صفة الكفار والمنافقين ، ويستحيل صدروها من المؤمنين ، كما أن الآية الموالية فيها عدد من المقالات التي لا يليق صدورها إلا من المنافقين ، وهو قوله تعالى:﴿**وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِكَ**﴾.

**النموذج السادس والعشرون**-قال تعالى:﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147)**﴾[النساء:147]

ذكر أبو حيان قولين في المخاطبين بهذه الآية ، وهما"[63]":

أ-أن المخاطبين هم المؤمنون.

ب-أن المخاطبين هم المنافقون ، ومال إلى هذا القول لاعتبار سياقيّ ، ولكنه لم ينشط لشرح

المأخذ السياقيّ على اختياره للقول الثاني واكتفى بعبارة:"وهو الذي يقتضيه سياق الكلام"[64] ؛ ربما لوضوح الفكرة ، أو ثقة في فهم القارئ.

أما شرح مأخذه السياقيّ فيسير ؛ وذلك أن السياق يعضد ما ذهب إليه بشأن المخاطبين في الآية ؛ فالآيات السابقة على هذه الآية تتحدث عن المنافقين بالدرجة الأولى ، ولم يجر حديث عن المؤمنين بشكل مستقلّ ، وقد تتابعت الآيات في شأن المنافقين من الآية 138 إلى الآية 146 ، أي أنّ تسع آيات تحدثت عنهم قبل الآية محلّ الدراسة. وقد جاز أَنْ يُوَجَّهَ الخطاب "إِلَى الْمُنَافِقِينَ عَلَى طَرِيقَةِ الِالْتِفَاتِ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ ؛ ارْتِفَاقًا بِهِمْ "[65].

**النموذج السابع والعشرون**-قال تعالى:﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157)**﴾[النساء:157]

اختلف في:"رسول الله" في قوله تعالى: ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ**﴾ ، على قولين[66] :

1-أنها من تتمة قول اليهود الذين صلبوا ذلك الشخص على أنه عيسى عليه السلام ، وقد قالوا ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِهْزَاءِ ، وله نظائر قرآنية ، كَقَوْلِ فِرْعَوْنَ عن موسى عليه السلام: ﴿**إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ**﴾ الشعراء:27] ، وَقَوْلِ قوم شعيب له: ﴿**إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾ [هود:87].

2-أنها من كلام الله تعالى ؛ وَضَعَ الذِّكْرَ الْحَسَنَ مَكَانَ ذِكْرِهِمُ الْقَبِيحِ فِي الْحِكَايَةِ عَنْهُ ؛ رَفْعًا لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عمَّا كَانُوا يذكرُونَهُ بِهِ ، فهي إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِصِفَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهِيَ الرِّسَالَةُ ، عَلَى جِهَةِ إِظْهَارِ ذَنْبِ هَؤُلَاءِ الْمُقِرِّينَ بِالْقَتْلِ وَلَزِمَهُمُ الذَّنْبُ ، وَهُمْ لَمْ يَقْتُلُوا عِيسَى ، لِأَنَّهُمْ صَلَبُوا ذَلِكَ الشَّخْصَ عَلَى أَنَّهُ عِيسَى ، وَعَلَى أَنَّ عِيسَى كَذَّابٌ لَيْسَ بِرَسُولٍ. وَلَكِنْ لَزِمَهُمُ الذَّنْبُ مِنْ حَيْثُ اعْتَقَدُوا أَنَّ قَتْلَهُمْ وَقَعَ فِي عِيسَى ، فَكَأَنَّهُمْ قَتَلُوهُ ، وَلَيْسَ يَدْفَعُ الذَّنْبَ عَنْهُمُ اعْتِقَادُهُمْ أَنَّهُ غَيْرُ رَسُولٍ.

وقد استظهر أبو حيان القول الأول لدلالة السياق الأكبر عليه ؛ إذ له نظائر في القرآن من الاستهزاء بالرسل بذكرهم بالأوصاف التي وصفهم الله بها أو اتصفوا بها بين قومهم قبل الرسالة ، كما في قصة موسى وشعيب وغيرهما من الأنبياء ، وقد شاع ذلك في اليهود ورسخ في تعاملهم مع أنبيائهم ؛ فخرج قولهم هنا مخرج الاستهزاء والتهكم والفرح بالقضاء على عيسى عليه السلام ، وَعَلَى أَنَّ عِيسَى كَذَّابٌ لَيْسَ بِرَسُول ، حاشاه عليه السلام ، أي: هذا الذي يدَّعي لنفسه هذا الوصف قتلناه.

**النموذج الثامن والعشرون**-قال تعالى:﴿**وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي**﴾ [المائدة:12]

اختلف في المعنيّ بالخطاب في قوله:"إنّي معكم" على قولين ، فقيل[67] :

1-هو لبني إسرائيل جميعا.

2-هو خطاب للنقباء.

ومال أبو حيان إلى كون ضمير الخطاب عائدا على بني إسرائيل كلهم مع أن مرجع الضمير هذا أبعد من المرجع الثاني ، فقال:"وَالْأَوَّلُ هُوَ الرَّاجِحُ ؛ لِانْسِحَابِ الْأَحْكَامِ الَّتِي بَعْدَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ عَلَى جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ[68] ؛ ومراده من ذلك أن السياق بلحاقه يقوّي هذا القول ؛ فتعقيب الجملة المذكورة بالأحكام الخمسة ، وهي قوله: **﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَنًا﴾** ، يرشح أن الخطاب شامل لبني إسرائيل جميعا وليس خاصا بالنقباء منهم ؛ فإقامة الصلاة –مثلا- مطلوب حصولها منهم جميعا وليس من طائفة معدودة ، وهكذا بقية الأحكام.

**النموذج التاسع والعشرون**-قال تعالى:**﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (19)﴾** [المائدة: 19]

اختلف في المراد بأهل الكتاب في الآية على قولين ، هما أنهم"[69]":

1- اليهود والنصارى.

2-اليهود خاصة.

ومال أبو حيان إلى القول الثاني فقال:"وَيُرَجِّحُهُ مَا رُوِيَ فِي سَبَبِ النُّزُولِ:أَنَّ مُعَاذ بْنُ جَبَلٍ ، وَسَعْد بْنَ عُبَادَةَ ، وَعُقْبَةَ بْنَ وَهْبٍ قَالُوا: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ اتَّقُوا اللَّهَ ، فوالله إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ"[70] .

فلفظ "أهل الكتاب" في الأصل يعم اليهود والنصارى ، إلا أن أبا حيان اختار أن يكون المخاطب بأهل الكتاب هنا هم اليهود خاصة ، معضدا ذلك بما روي فيها من سبب النزول ، وهو استدلال بالسياق المقاميّ(السياق الخارجيّ).

**النموذج الثلاثون**-قال تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (20)﴾** [المائدة:20]

اختار أبو حيان أن المخاطبين في قوله:"وأتاكم" هم بنو إسرائيل ، وأنه من كلام موسى لهم ، وعزاه للجمهور ؛ واستدل على ذلك بدلالة السياق ؛ حيث سيقت الآية في خطاب موسى عليه السلام لقومه ، وتعداد نعم الله العظيمة التي امتن عليهم بها ؛ من إنزال الأنبياء ، وإيتائهم الملك ، والتفضل عليهم بما لم يكن لمن في عصرهم من الأمم ، وخاطبهم بهذا

الخطاب توطئة وتمهيدا ما بعده من أمره لهم بدخول الأرض المقدسة"[71]" ، فجرى الكلام في نسق واحد من خطاب موسى لقومه ، ووجود خطاب لغيرهم في غضون ذلك يخل بالنظم ، على وجه تكون به العبارة أجنبيةً عمَّا قبلها وعمَّا بعدها.

وقد قال بعضهم أن الخطاب هنا "لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَانْتَهَى الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿**وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا**﴾ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ لَمَا ذَكَّرَ مُوسَى قَوْمَهُ بِنِعَمِ اللَّهِ ، ذَكَّرَ اللَّهُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الظَّاهِرَةِ جَبْرًا لِقُلُوبِهِمْ ، وَأَنَّهُ آتَاهُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ، وَعَلَى هَذَا الْمُرَادُ بِالْعَالَمِينَ الْعُمُومُ ، فَإِنَّ اللَّهَ فَضْلِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ ، وَآتَاهُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ مَا لَمْ يُسْبِغْهَا عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ"[72] ؛ ومأخذ هذا القول أنه يلزم من جعل الخطاب لقوم موسى- عليه السلام- أن يكون بنو إسرائيل أفضل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا كما هو معلوم لا يصحّ.

وقد دفع أبو حيان في صدر هذا القول ابتداء ؛ فقال:"لَفْظُ "الْعَالِمِينَ" مُقَيَّدٌ بِالزَّمَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، لِأَنَّ أمة محمد قَدْ أُوتِيَتْ مِنْ آيَاتِ محمد صلى الله عليه وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ"[73] ؛ فقيَّد الأفضليةَ بالزمان الذي كان فيه بنو إسرائيل ؛ لأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم أشرف منهم ، وأفضل عند الله.

**النموذج الحادي والثلاثون**-قال تعالى:﴿**قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (104)**﴾ [الأنعام:104]

قال أبو حيان معبّرا المتكلم بهذه الجملة:"هَذَا وَارِدٌ عَلَى لِسَانِ الرَّسُولِ ؛ لِقَوْلِهِ آخِرَه:﴿**وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ**﴾"[74] ؛ فاستدل باللحاق على أن المتكلم هو الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ إذ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ:﴿**قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ هو أن الدَّعْوَة إِلَى الدِّينِ الْحَقّ ، وَتَبْلِيغ الدَّلَالَةِ وَالْبَيِّنَاتِ فِيهَا مما يتعلق بالرسول ، وَهُوَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مَا قَصَّرَ فِي تَبْلِيغِهَا وَإِيضَاحِهَا وَإِزَالَةِ الشُّبُهَاتِ عَنْهَا"[75] ، ومن "تَعَقَّلَ الْحُجَّةَ وَعَرَفَهَا وَأَذْعَنَ لَهَا فَنَفْعُ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ ؛ لِأَنَّهُ يَنْجُو بِهَذَا الْإِبْصَارِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ ، وَمَنْ عَمِيَ عَنِ الْحُجَّةِ وَلَمْ يَتَعَقَّلْهَا وَلَا أَذْعَنَ لَهَا ، فَضَرَرُ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ ؛ لِأَنَّهُ يَتَعَرَّضُ لِغَضَبِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا ، وَيَكُونُ مَصِيرُهُ النَّارَ ، أمّا قوله:﴿**وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ**﴾فمعناه لست بِرَقِيبٍ أُحْصِيَ عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ ، وَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَهُوَ الْحَفِيظُ عَلَيْكُمْ[76] .

**النموذج الثاني والثلاثون**-قال تعالى:﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ**

**مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151)﴾** [الأنعام:151]

اختلف في المخاطب بضمير الجمع في قوله:"تَعالَوْا" على قولين ، فقِيلَ هو"[77]":

1-للمشركين.

2-لِمَنْ بِحَضْرَةِ الرَّسُولِ مِنْ مُؤْمِنٍ وَكِتَابِيٍّ وَمُشْرِكٍ.

وقد جنح أبو حيان للقول الأول معضدا ذلك بدلالة السباق ، فقال:"سِيَاقُ الْآيَاتِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لِلْمُشْرِكِينَ ، وَإِنْ كَانَ حُكْمُ غَيْرِهِمْ فِي ذَلِكَ حُكْمَهُمْ ؛ أَمَرَهُ تَعَالَى أَنْ يَدْعُوَ جَمِيعَ الْخَلْقِ إِلَى سَمَاعِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ بِشَرْعِ الْإِسْلَامِ الْمَبْعُوثِ بِهِ إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ"[78].

فاستدل أبو حيان للقول الأول بدلالة السياق ؛ إذ أن الآيات قبلُ منصبة في الحديث عن المشركين ، حيث يقول عز وجلّ:﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (149) قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (150)﴾**"[الأنعام:148-150]

**النموذج الثالث والثلاثون**-قال تعالى:﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20)﴾**[الأنفال:20]

ذكر أبو حيان في المخاطبين بهذه الآية ثلاثة أقوال ، هي أنهم:

1-المؤمنون.

2-المنافقون.

3-بنو إسرائيل.

ثم استظهر القول الأول واستبعد القولين الآخرين ؛ ومردّ استظهاره للقول الأول هو السياق بسباقه ؛ حيث عاد ضمير جمع المخاطبين هنا على ما عاد عليه في قوله في الآية قبلها:﴿**وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ**﴾[الأنفال:19] ؛ فالآيتان المتجاورتان تمشيان على خط ضميريّ واحد على هذا الرأي ، وحتى على القول بأن قوله:"إن تنتهوا" هو خطاب للكفار يظل الضمير في الآية المدروسة خطابا للمؤمنين على المعنى الذي وضَّحه سابقا.

وقد خذل السياق أصحاب القولين الأخيرين ؛ وتجلية ذلك-حسب ما قاله أبو حيان- أن وصف المخاطبين بصفة الإيمان ينفي عنهم النفاق كلية ، وهذا عكس ما يتصف به المنافقون ، وأما استبعاد كون الخطاب لبني إسرائيل فمحمول على أجنبيته من الآيات ، وتطفّله عليها ، فلم يسبق له أيّ ذكر فيما سلف من الآيات"[79]".

**النموذج الرابع والثلاثون**- قال تعالى:﴿**لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (37)**﴾[الأنفال:36-37]

ذكر أبو حيان ما تأوله المفسرون في معنى الخبيث والطيب في هذه الآية بعد أن قرر أنهما وصفان يصلحان للآدميين وللمال ، فعدد ستة أقوال ، هي"[80]":

1- الْخَبِيث والطَّيِّب من الْآدَمِيِّينَ ؛ أي: لِيَمِيزَ أَهْلَ السَّعَادَةِ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ، أو أَرَادَ: الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكافر ، وَتَحْرِيرَهُ لِيَمِيزَ أَهْلَ الشَّقَاوَةِ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَالْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ ، أو أراد: الْفَرِيقَ الْخَبِيثَ مِنَ الْكُفَّارِ مِنَ الْفَرِيقِ الطَّيِّبِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

2- الْخَبِيث والطَّيِّب عَلَى الْأَمْوَالِ ؛ بأن يكون الْمَعْنِيُّ بِالْخَبِيثِ: الْمَالُ الَّذِي أَنْفَقَهُ الْمُشْرِكُونَ كَمَالِ أَبِي سُفْيَانَ وَأَبِي جَهْلٍ وَغَيْرِهِمَا الْمُنْفَقِ فِي عَدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْإِعَانَة عَلَيْهِ فِي الصَّدّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، والطَّيِّبِ: هُوَ مَا أَنْفَقَهُ الْمُؤْمِنُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَالِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ.

3- الْخَبِيثُ مَا أُنْفِقَ فِي الْمَعَاصِي وَالطَّيِّبُ مَا أُنْفِقَ فِي الطَّاعَاتِ

4-عَامٌّ فِي الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ.

5- الْمَالُ الْحَرَامُ مِنَ الْمَالِ الْحَلَالِ.

6- مَا لَمْ تُؤَدَّ زَكَاتُهُ مِنَ الَّذِي أدِّيَت زكاته.

ثم استظهر القول الأول لقيام شواهد عليه من السياق بسباقه ولحاقه ، فقال:"وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ هُوَ الْأَوَّلُ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادَ بِالْخَبِيثِ: الْكُفَّارُ ، وَبِالطَّيِّبِ الْمُؤْمِنُونَ ؛إِذِ الْكُفَّارُ أَوَّلًا هُمُ الْمُحَدَّثُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ:﴿**يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ**﴾ ، وَقَوْلِهِ:﴿**فَسَيُنْفِقُونَها**﴾ ، وبقوله:﴿**ثم إلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**﴾ ، وَأُخْرَاهُمُ الْمُشَارُ إِلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ:﴿**أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ**﴾ ، وَلَمَّا كَانَ تَغَلُّبُ الْإِنْسَانِ فِي مَالِهِ وَتَصَرُّفُهُ فِيهِ يَرْجُو بِذَلِكَ حُصُولَ الرِّبْحِ لَهُ ، أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا فِي إِنْفَاقِهِمْ ، وَأَخْفَقَتْ صَفْقَتُهُمْ ؛ حَيْثُ بَذَلَ أَعَزَّ مَا عِنْدَهُ فِي مُقَابَلَةِ عَذَابِ اللَّهِ ؛ وَلَا خُسْرَانَ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا"[81] .

فسباق الآية ولحاقها أقصيا التأويلات الأخرى ، وأسعفا المؤلف في انتخاب قول منسجم مع نظم الآية.

**النموذج الخامس والثلاثون**-قال تعالى:﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (58)**﴾ [الأنفال:58]

في هذه الآية يخبر اللهُ تعالى نبيه -صلى الله عليه وسلم- بما يصنع في المستقبل مع من يخاف منه خيانةً إلى نهاية الدهر ، وقد أورد أبو حيان قول من قال أن الموصوف بالخيانة في هذه الآية هو بني قريظة ،ولم يستظهره"[82].

فالآية عند أبي حيّان على عمومها مع كلّ ما تخاف منه خيانة من سائر الناس ، وليس مقصودا بها بني قريظة لسببين:

1-دلالة السياق غير اللغويّ ؛ فخيانة بني قريظة كانت ظاهرة متعالَمة ، فانتفى الخوف من جهتهم من هذه الناحية.

2-دلالة السياق اللغويّ ؛ فقوله:"من قوم" تفيد العموم ؛ لأنها نكرة في سياق الشرط ، أي: كل قوم تخاف منهم خيانة ، ولو أراد تخصيص بني قريظة بذلك الحكم لقال:"وإما تخافنَّ منهم" ، لأنه سبق ذكرهم في الآيات التي قبل هذه ، في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (55) الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (56) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ(57)**﴾[الأنفال:55-57] ؛ فتكون هذه الآية على عمومها من باب"عَطْفُ حُكْمٍ عَامٍّ لِمُعَامَلَةِ جَمِيعِ الْأَقْوَامِ الْخَائِنِينَ بَعْدَ الْحُكْمِ الْخَاصِّ بِقَوْمٍ مُعَيَّنِينَ الَّذِينَ تَلُوحُ مِنْهُمْ بَوَارِقُ الْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ ، بِحَيْثُ يَبْدُو مِنْ أَعْمَالِهِمْ مَا فِيهِ مُخَيِّلَةٌ بِعَدَمِ وَفَائِهِمْ ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ ؛ إِذْ لَا فَائِدَةَ فِيهِ ، وَإِذ هُمْ يَنْتَفِعُونَ مِنْ مُسَالَمَةِ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ ، وَلَا يَنْتَفِعُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ مُسَالَمَتِهِمْ عِنْدَ الْحَاجَةِ"[83].

وهذا ، من المؤلف ، حسن استغلال للسياق بنوعيه: الداخليّ والخارجيّ ، لترجيح إحدى الدلالتين.

**النموذج السادس والثلاثون**-قال تعالى:﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ(60)**﴾ [الأنفال:60]

ذكر أبو حيّان في تعيين المقصود بـ(آخرين) في الآية ستّة أقوال ، وهي"[84]:

1-بنو قريظة.

2-اليهود.

3-أهل فارس.

4-كفَّار الجن.

5-كل عدو للمسلمين غير الفرقة التي أُمِرَ النبي صلى الله عليه وسلم أن يُشَرِّد بهم من خلفهم.

6-المنافقون.

ثم استظهر القول الأخير بأنهم المنافقون، بَانِيًا استظهاره على السياق؛ فلحاق الآية يوضّح أن المقصودين بالآية هم المنافقون؛ لجهالة المسلمين لهم بسبب تسترهم بشعار الإسلام، وهو ما يعبر عنه قوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ "[85]".

ثم بيَّن -رحمه الله- سبب التنصيص عليهم، وهو أن ذلك كان على قصد الطعن عليهم ،وتبيان سوء حالهم، ولإدخال الفزع والرهبة في نفوسهم؛ مما يزيد في علوّ الإسلام وظهوره"[86]".

## 4. خاتمة:

بهذه النماذج التطبيقيّة في تفسير البحر المحيط يستبين أثر السياق بنوعيه في تحديد المتكلّم والمخاطب والموصوف في الآيات القرآنيّة؛ مما يؤكّد على النقاط الآتية:

1- أن إغفال السياق عند تعاطي التفسير يفضي إلى ضرب من الإسقاط الدلاليّ المحظور، يخدش قدسيّة النص القرآنيّ ويبعثر مقاصده.

2- يبين البحث أن السياق فنّ ذوقيّ اجتهاديّ، تتمايز العقول في إدراكه، وعلاجه هو كثرة الممارسة لكلام العلماء في مدوّناتهم العلمية وترجيع النظر فيها، والائتساء بهم، ثم خوض غمار النصوص المتنوّعة.

3-استفادة أبي حيان من آراء سابقيه، ثم انتقاؤه منها ما يرتضيه، وردّه لما عداه.

4-التوجيهات السياقية الحيانية أنواع؛ منها ما هو مسبوق إليه، ومنها ما هو من بنات أفكاره، ومنها ما هو مزيج بينهما.

5-يذكر أبو حيان أحيانا أقوال الغير بصورة مجتزأة أو غير منظّمة مما يوقع في التشويش.

6-يستغل أبو حيان السياقَ في تحليل النصوص وتحديد الدلالات، ولكنه في بعض الأحيان يكتفي بذكر الدلالة السياقية دون ترجيح لها على سائر الدلالات والاحتمالات.

7-جدوى استكمال دراسة الحضور السياقيّ في تراث أبي حيان التفسيريّ من نواح أخرى؛ لاستجلاء النظرة الحيانيّة تجاه السياق، والوقوف على منهجه في استثماره.

## 5. مصادر البحث ومراجعه:

1-مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبيّ برواية حفص عن عاصم.

2-إبراهيم أصبان ، السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة ، مجلة الإحياء ، الرابطة المحمدية للعلماء ، دار أبي رقراق ، الرباط ، المغرب ، جمادى الثانية 1428هـ/يوليوز2007م ، ع:25.

3- أبو حيّان محمد بن يوسف الأندلسيّ(ت745هـ) ، البحر المحيط في التفسير ، تحقيق:صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، د.ط ،1420هـ.

4- أبو عبد الله محمد بن عمر التيميّ الرازيّ(ت606هـ) ،تفسير مفاتيح الغيب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،لبنان ، ط3 ، 1420هـ.

5-أحمد مختار عمر ،علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط7 ، 2009م.

6-الإمام المطّلبي محمد بن إدريس الشافعيّ(150-204) ، الرسالة ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط1 ، 1358-1940.

7-بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العينيّ(ت855هـ) ،عمدة القاري شرح صحيح البخاري ،ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1421هـ/2001م.

8-جاسم محمد عبد العبّود ، مصطلحات الدلالة العربيّة ، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2007.

9- جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1984.

10-حسن طبل ، قضايا نقديّة في موروثنا العربيّ ، دار النابغة للنشر والتوزيع ، طنطا ، مصر ، ط1 ، 1437هـ-2016م.

11- حسين بن علي الحربي ، قواعد الترجيح عند المفسرين ، دار القاسم ، الرياض ، السعودية ، ط1 ، 1417هـ-1996م.

12-شعبان صلاح ، الإعلال والإبدال في الكلمة العربية ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، مصر ، طبعة خاصة منقحة ، 2016م

13-عبدالرحمن بودرع ، منهج السياق في فهم النص ،منشورات كتاب الأمة ،وزارة الأوقاف القطرية ، قطر ، محرم1427هـ-فبراير2006م ،العدد:111.

14-عبد الكريم محمد حسن جبل ، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، د.ط ، 1997م.

15-عبد الملك مرتاض ، نظرية اللغة العربية ، تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها ، دار البصائر ، الجزائر ، الجزائر ، د.ط ، 2012.

16-فاطمة بوسلامة ، السياق عند الأصوليين: المصطلح والمفهوم ، مجلة الإحياء ، الرابطة المحمدية للعلماء ، دار أبي رقراق ، الرباط ، المغرب ، جمادى الثانية 1428هـ/يوليوز2007م ، ع:25.

17- المثنى عبد الفتاح محمود ، السياق القرآنيّ وأثره في الترجيح الدلاليّ ، أطروحة دكتوراه ،قسم أصول الدين ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة اليرموك ،إربد ، الأردن ، 1426هـ-2005م.

18-محمد أحمد أبو الفرج ، المعاجم اللغويّة في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، دار النهضة العربية ، 1966.

19- محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، مؤسسة التاريخ ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1420هـ.

20- محمد بن عليّ بن محمد الشوكانيّ(ت1250ه)، فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير ، اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغوش ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 1428ه/2007م.
21-محمد بن ناصر يحيى جده ، ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول الفاتحة إلى آخر سورة البقرة ، جمعا ودراسة وموازنة من خلال تفسيره البحر المحيط ، أطروحة دكتوراه ، قسم الكتاب والسنة ، كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 1426-1427ه.
22- محمد عبد الله ربيعة ،(1427ه-2006م)، أثر السياق القرآنيّ في التفسير ، دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة ، أطروحة دكتوراه ، قسم القرآن وعلومه ،كلية أصول الدين ، الدراسات العليا ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، السعودية ، 1427ه-2006م.
23- محمد متولي الشعروايّ(ت1418ه)، تفسير الشعراوي-الخواطر ، مطابع أخبار اليوم التجارية ، هليوبوليس ، د.ط ، 1997م.
24-محمود بن عمر الزمخشريّ(ت528ه)، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ضبط وتوثيق: أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1427ه/2006م.
25-يسرا محمد عبد اللطيف محمد ، السياق وتنوع التعبير القرآنيّ عن حتمية البعث: دراسة بلاغية ، ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة سوهاج ، مصر ، 1439ه- 2018م.

## 6.الهوامش والإحالات:

[1] - محمد عبد الله ربيعة ، أثر السياق القرآني في التفسير ، دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة ، أطروحة دكتوراه غير مطبوعة ، قسم القرآن وعلومه ،كلية أصول الدين ، الدراسات العليا ،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، السعودية ، 1427ه-2006م ، ص87.

[2] - قلنا أن هذا النوع من التغيير الصرفيّ يسمى "إعلالا بالقلب" ، ومن أمثلته أيضا: صيام ، وقيام ، وإياب ، وزيارة ، وأصلها على الترتيب:(صوام)، و(قوام)، و(إواب)، و(زوارة).يراجع: شعبان صلاح ، الإعلال والإبدال في الكلمة العربية ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، مصر ، طبعة خاصة منقحة ، 2016م ، ص5و25.

[3] - يرى عبد الملك مرتاض-رحمه الله- أنّ ثمّة فروقا في المعاني بين مصادر الثلاثيّ في العربيّة ، وأن هذا التعدّد المصاديّ ليس عبثا باللغة ورَمْيًا بها في مجاهل الاعتباط ؛ لذلك يذهب إلى أنّ المصدر في التركيب الثلاثيّ خصوصا يحمل أبسط معنى وأقلّه ، وهو ما يسميه بالدّلالة الصغرى ، أما الدلالة الناشئة عن تعدّد المصادر على غير هيئة المصدر الأصليّ ، أو الأوّل ، المشاكل لتركيب فعله ، فيسميها بالدّلالة الكبرى. وضرب لذلك أمثلة عديدة. وركحا عليه ؛ يكون المصدر الثلاثيّ"سَوْق" يحمل الدلالة الصغرى ، وبقية المصادر تحمل الدلالة الكبرى ، على اختلاف بينها في كثافة الدلالة. ولكن ما الفروق القابعة هنا بين مصادر مادة(سوق)؟ هذا ما يحتاج إلى ترجيع النظر ، ولا يحضرني فيها شيء الحين. يراجع: عبد الملك مرتاض ، نظرية اللغة العربية ، تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها ، دار البصائر ، الجزائر ، الجزائر ، د.ط ، 2012 ، ص63و80و83.

[4] - يلاحظ في بعض المؤلّفات أن لفظة "سياق" تختفي ويبقى معناها حاضرا بألفاظ أخرى ، مثل:"القرينة أو القرائن" ،و"دلالة الحال"أو"الدلالة الحالية" ، و"المقام" ،و"الموضع"و"المواضع" ،و"المساق" ، والاتساق"و"سوق الكلام" ،و"نظم الكلام" ،و"مقتضى الحال" ،و"التأليف" ،وكلها بمعنى"سياق".يراجع المقالان الآتيان: فاطمة

بوسلامة ، السياق عند الأصوليين: المصطلح والمفهوم ، ص46-47 ؛ و إبراهيم أصبان ، السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة ، ص53 ، وكلا المقالين في مجلة الإحياء ، الرابطة المحمدية للعلماء ، دار أبي رقراق ، الرباط ، المغرب ، جمادى الثانية 1428هـ/يوليوز2007م ، ع:25.

[5]- يسرا محمد عبد اللطيف محمد ، السياق وتنوّع التعبير القرآنيّ عن حتمية البعث: دراسة بلاغية ، أطروحة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة سوهاج ، مصر ، 1439هـ- 2018م ، ص2.

[6]- إراجع: حسن طبل ، قضايا نقديّة في موروثنا العربيّ ، دار النابغة للنشر والتوزيع ، طنطا ، مصر ، ط1 ، 1437هـ-2016م ، ص160 ؛ نقلا عن: يسرا محمد عبد اللطيف محمد ، السياق وتنوع التعبير القرآنيّ عن حتميّة البعث: دراسة بلاغية ، ماجستير ، 2018م ، ص2.

[7]- الإمام المطّلبي محمد بن إدريس الشافعيّ(150-204) ، الرسالة ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط1 ، 1358-1940 ، ص52.

[8]-يراجع: المثنى عبد الفتاح محمود ، السياق القرآنيّ وأثره في الترجيح الدلاليّ ، أطروحة دكتوراه ،قسم أصول الدين ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة اليرموك ، إربد ، الأردن ، 1426هـ-2005م ، ص13.

[9]- جاسم محمد عبد العبّود ، مصطلحات الدلالة العربيّة ، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2007 ، ص133.

[10]- يراجع بعض التعريفات: محمد أحمد أبو الفرج ، المعاجم اللغويّة في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، دار النهضة العربية ، 1966 ، ص116 ، والمعجم الأدبي ، جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1984 ، ص142 و143.

[11]- إبراهيم أصبان ، السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة ، ص54 بتصرف.

[12]- يراجع: بودرع عبدالرحمن ، منهج السياق في فهم النص ، منشورات كتاب الأمة ، وزارة الأوقاف القطرية ، قطر ، محرم1427هـ-فبراير2006م ، العدد:111 ، ص201.

[13]- يراجع: عبد الكريم محمد حسن جبل ، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، د.ط ، 1997م ، ص74.

[14]- أبو حيان الأندلسيّ(ت745هـ) ، البحر المحيط ، تح: صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1420هـ ، 35/1.

[15]-يراجع: محمد بن ناصر يحيى جده ، ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول الفاتحة إلى آخر سورة البقرة ، جمعا ودراسة وموازنة من خلال تفسيره البحر المحيط ،أطروحة دكتوراه ، قسم الكتاب والسنة ، كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 1426-1427هـ ، ص179.

[16]- يراجع: أبو حيان الأندلسي(ت745هـ) ، البحر المحيط ، تح: صدقي محمد جميل ،193/1-194

[17]- المصدر السابق ، 193/1-194.

[18]- المصدر السابق ،281/1

[19]- المصدر السابق ، 281/1.

[20]-يراجع: المصدر السابق ، 286/1.

[21]- ينظر: محمد متولي الشعراويّ (ت1418هـ)، تفسير الشعراوي-الخواطر ، مطابع أخبار اليوم التجارية ، هليوبوليس ، د.ط ، 1997م ، ج1 ، ص364.

[22]- البحر المحيط ، 376/1-377.

[23]- البحر المحيط ،407/1.

[24]- المصدر السابق ، 420/1.

[25]- المصدر السابق ،437/1-438.

[26]- المصدر السابق ،438/1.

[27]- المصدر السابق ، 444/1..

[28]- المصدر السابق ،444/1.

[29]- المصدر السابق ، 461/1.

[30]-يراجع: المصدر السابق ، 492/1.

[31]- المصدر السابق ، 520/1.

[32]-يراجع: المصدر السابق ،520/1.

[33]- المصدر السابق ، 84/2.

[34]- المصدر السابق ،84/2.

[35]- يراجع: الرازي أبو عبد الله محمد بن عمرالتيميّ (ت606هـ)، تفسير مفاتيح الغيب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،لبنان ، ط3 ، 1420هـ ،174/4-175.

[36]- يراجع: البحر المحيط ، تح:صدقي جميل ، 488/2.

[37]-المصدر السابق ،493/2

[38]- ننبه هنا إلى أنّ كلاًّ من أبي حيان والرازيّ قد وَهِمَا في اسم زوج أخت معقل بن يسار ، فسمّاه أبو حيان كما مرَّ أعلاه ، وسمَّاه الرازي: بْن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَاصِمٍ! ؛ والصحيح أنه: أبو البداح بن عاصم بن عديّ بن العجلان القضاعيّ الأنصاريّ. ولا أدري منشأ الوهم عندهما. يراجع: الرازي ، تفسير مفاتيح الغيب ، 119/6 ، وبدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العينيّ(ت855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ،ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ط 1 ، 1421هـ-2001م ، 175/20.

[39]-البحر المحيط ، تح:صدقي جميل ، 493/2. وهذا التوجيه من كلام الرازيّ ، وقد اختصره أبو حيان. يراجع: تفسير الرازي ، 454/6-455.

[40]- توضيح الوجوه الثلاث الأخيرة ليس من كلامنا ، إلا النزر اليسير ، وإنما هو منقول من كلام الرازي حرفيًا ؛ لحسنه ، وقد أشرنا آنفا إلى اختصار أبي حيّان لكلام الرازي في هذه المسألة.

[41]- البحر المحيط ، 539/2.

[42]- البحر المحيط ، 564/2-565

[43]- البحر المحيط ، 633/2-634.

[44]- يراجع: حسين بن علي الحربي ، قواعد الترجيح عند المفسرين ، دار القاسم ، الرياض ،السعودية ، ط1 ، 1417هـ-1996م ، 137/1 ، و299/1.

[45]-يراجع: البحر المحيط ، 714/2.
[46]- يراجع: البحر المحيط ، 16/3
[47]- البحر المحيط ، 17/3.
[48]- البحر المحيط ،9/3.
[49]- يراجع: البحر المحيط ، 71/3. وهنا ننبه إلى أننا لم نجد أحدا من العلماء الذين سبقوا أبا حيان قال بدخول المجوس في المعنيّ بهذه الآية ؛ فهل هو تصحيف في الكتاب؟ وإن كان هناك اختلاف بين العلماء في كون المجوس لهم كتاب. ثم إن في كلامه ما يدل على وقوع تصحيف ؛ فقد ذكر الأقوال الثلاثة في المعنيّ بالاسم الموصول(الذين)، وجعلها في اليهود فقط ، وفي النصارى فقط ، وفيهما معا ، ولم يذكر المجوس فيها ؛ لهذا أرى أن صواب العبارة كالآتي:"ومَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ أَيْ: الْيَهُودُ أو النَّصَارَى ، أَوْ هُمَا معا". والله أعلم.
[50]- يراجع: البحر المحيط ، 71/3.
[51]-يراجع: البحر المحيط ، 71/3 .
[52]-الحربي ، قواعد الترجيح عند المفسرين ، 299/1.
[53]- البحر المحيط ، 167/3.
[54]- البحر المحيط ، 193/3.
[55]-يراجع: البحر المحيط ، 193/3.
[56]- تفسيرالرازي ،251/8
[57]- المصدر السابق ، 245/8.
[58]-المصدر السابق ، 193/3.
[59]- المصدر السابق ، 193/3
[60]- تفسير الرازي ، 251/8.
[61]- يراجع: البحر المحيط ،286/3-287.
[62]- المصدر السابق ،715/3.
[63]-البحر المحيط ، 114/4.
[64]- المصدر السابق ، 114/4.
[65]- محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، مؤسسة التاريخ ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1420هـ ،245/5.
[66]- البحر المحيط ، 125/4.
[67]- المصدر السابق ، 203/4
[68]- المصدر السابق ، 203/4
[69]- المصدر السابق ، 213/4.
[70]- المصدر السابق ، 213/4.
[71]- المصدر السابق ، 216/4.
[72]- المصدر السابق ، 216/4.
[73]- المصدر السابق ، 216/4.

[74]- المصدر السابق ، 606/4.
[75]- تفسير الرازي ،105/13.
[76]- يراجع: محمد بن عليّ بن محمد الشوكانيّ(ت1250ه)، فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير ، اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغوش ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 1428ه-2007م ، ص440.
[77]- البحر المحيط ، 684/4-685.
[78]- البحر المحيط ، 684/4-685.
[79]- المصدر السابق ، 298/5.
[80]- المصدر السابق ،317/5-318.
[81]-المصدر السابق ، 317/5-318.
[82]- المصدر السابق ، 340/5.
[83]- التحرير والتنوير ،51/10.
[84]- البحر المحيط ، 345/5.
[85]- يراجع: المصدر السابق ، 345/5.
[86]-يراجع: المصدر السابق ، 345/5.